ثالثاً

مكانة القلب فى الإسلام

﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾

[الرعد:٢٨].

مكانة القلب فى الإسلام

تتضح أهمية ومكانة القلوب فى الإسلام من مخاطبة الله سبحانه وتعالى لها وحكمه عليها كما لو كانت المسئولة عن الإيمان والعمل، وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦].

كما أن الدليل على وجود كامل الكتلة العاطفية فى القلب بكتلتيها الخير والشر أن الله سبحانه وتعالى جعل على القلوب الميتة عن إصدار كتلة الخير أقفالاً لتغلق إرسال الإيمان والخير إلى العقول، ولتعمل فى أولئك الذين كفروا وأشركوا ولم تنفع معهم كل وسائل الهداية. قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٥٧].

وقال الله تعالى: ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْءانَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد:٢٤].

وقد ذكر القلب فى القرآن الكريم كناية عن العقل والإدراك كما جاء فى قوله تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ * عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾ [الشعراء:١٩٣- ١٩٤].

﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وسنجد فى هذه الآية أن قول الله تعالى:﴿ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ﴾ إنه خص القلب بالذكر إذ جعله كناية عن العقل أو عن الذات البشرية كلها.

وذكر القلب كناية فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾

[آل عمران: ١٥٩].

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴾ [البقرة: ١٠].

وذكر الحديث النبوى كلمة (قلب) على حقيقتها، فقال رسول الله ﷺ: **"ألا وإن فى الجسد مضغة، إن صلحت صلح الجسد كله، وإن فسدت فسد الجسد كله، ألا وهى القلب"** .

ويشير هنا الحديث إلى أن القلب أهم عضو فى الجسد، وبالتالى إن صلح الراعى صلحت الرعية ويحذرنا الحديث هنا من الوقوع فى الشبهات.

وذكر أيضا القلب على المجاز: عن عبد الله بن عمر – رضى الله عنهما- قال: كان النبى ﷺ : **" يتعوذ من علم لا ينفع، ودعاء لايُسمع، وقلب لا يخشع، ونفس لا تشبع"** [أخرجه الإمام مسلم والإمام أحمد] .

– عن مطرف بن عياض أن النبى ﷺ قال فى حديث له: **"أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذى قربى ومسلم، ورجل فقير عفيف متصدق"**[أخرجه الإمام أحمد] .

– كما قال: عن أبى هريرة ﷺ أن رجلاً شكا إلى رسول الله ﷺ قسوة قلبه، فقال له ﷺ:" **إن أردت تليين قلبك فأطعم المسكين وامسح رأس اليتيم**"[أخرجه الإمام أحمد] .

وإذا كان حديثنا السابق عن القلب ودوره فى توجيه النفس وكيف تناوله القرآن الكريم مجازاً وحقيقة، وكذلك الحديث

الشريف، فماذا عن الفؤاد؟ وهل هو يعنى القلب كما جاء تفسيره لغويا؟

* * *

المقصود بالفؤاد فى القرآن والسنة

• إذا كان القلب قد جاء فيما سبق كناية عن العقل.. إذن العقل قوام الفؤاد، ولنستدل على هذا المعنى من القرآن والسنة.

قال الله تعالى: ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠].
والمعنى المقصود هنا نقلب عقولهم وأفكارهم.

وقال الله تعالى أيضاً: ﴿ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ [النجم: ١١].
والمقصود بالفؤاد هنا أن الإنسان يرى ويفهم بواسطته.

وقال الله تعالى: ﴿ وَلِتَصْغَى إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].
والمقصود هنا أن الإنسان يفهم ما يسمع بواسطة الفؤاد.

وقد ارتبط السمع والبصر بالأفئدة فى آيات ستة وهى:

قال الله تعالى: ﴿ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً﴾ [الإسراء: ٣٦].

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٨].

﴿قُلْ يَوْمَ الفَتْحِ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ [السجدة: ٢٩].

﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾

[النحل: ٧٨].

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٦].

وقد ذكر لفظ الفؤاد فى القرآن الكريم فى خمس عشرة آية كريمة.

والأفئدة تعنى مجموع مدارك الإنسان وعلمه وطاقاته العقلية، وحواس الإنسان لا تعمل إلا من خلال مجموع تلك الملكات فى الإنسان.

والفؤاد طاقة لا مادية قوامها العقل، وليس مركزا من مراكز المخ، والقلب كناية عن الفؤاد وما ذكر القلب فى القرآن الكريم إلا كناية عن العقل.

وجاء فى الحديث الشريف: عن عقبة بن عامر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **" أهل اليمن أرق قلوبا وألين أفئدة "**

[أخرجه الإمام أحمد].

- عن على بن أبى طالب ﷺ قال: بعثنى رسول الله ﷺ إلى اليمن قاضياً فقلت: تبعثنى إلى قوم وأنا حدث السن لا علم لى بالقضاء، فوضع يده على صدرى فقال: **"إن الله مثبت قلبك وهادى فؤادك"** [أخرجه الإمام أحمد].

* * *